Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أ ـ نظرية التحديد:

إن إدراك المفرد أو التصور أو التحديد لم يكن شيئاً غير معروف لدى اللغويين والأصوليين والمناطقة المسلمين، فهم كانوا جميعهم يَبْحَثُونَ منذ البداية في الدلالات الإفرادية فيتحدثون عن أقسام الكلمة وخصائص كل قسم، ولكنهم ركزوا على المفرد فتناولوه من حيث أنواع دلالته: دلالة المطابقة، دلالة التضمن، ودلالة الالتزام، ومن حيث مدلولاته: مشترك، ومتواطىء ومترادف... وأمَّا مِنْ حيث تعريفه، فحاولوا أن يحددوه تحديداً جامعاً مانعاً واضعين شروطاً وقواعد للتحديد كالكليات الخمس وتراتبها وتعالق مكونات الشجرة الفورفورية؛ ومع أن الأصوليين والبلاغيين والمناطقة المسلمين كانوا على علم بالاعتراضات التي توجه إلى نظرية التعريف الأرسطية والفورفورية فإنها بقيت سائدة في تحديد المفرد تحديداً جامعاً مانعاً أو رسماً، مما أدى إلى البحث في الصفات الذاتية والعرضية الخاصة والعامة. وقد نقلت آليات التعريف بكل إشكالاتها إلى البلاغة العربية كما يظهر في مباحث الكناية والمجاز المرسل والاستعارة. فقد رأى ابن عميرة أن التعريف يقع بذكر الصفات الذاتية و/أو الْعَرَضِيَّة ولكنه يجب ذكر الألصق فالألصق والراسخ ثم الأقل رسوخاً، سواء أكان الحمل مباشراً أو غير مباشر كأن يعبر باللازم عن الملزوم أو بالشامل عن المشتمل عليه، وهكذا، إذا أريد أن يكنى على إنسان فإن الأصوب أن يقال: إهاب الإنسان فثوبه أو برده فقبته فصقعه فناحيته[15].

هدف التحديد إدراك ماهية الشيء، ولكن هناك فرقاً بين ماهية الشيء المجردة، وبين ماهية الشيء حين تتقيد بأحد الوجودين الذهني أو الخارجي، فالماهية المجردة لا يبنى عليها حكم أو وصف مثل «الإنسانية» أو «الوحدانية»، فهذه الماهية مجردة من الْغواشِي اللاحقة بها في الذهن أو في الخارج، ولكن الماهية إذا تقيدت تخصصت. وهذا التَّخْصِيصُ هو الذي يجعلها تمتاز من غيرها ويُكوِن لها وجوداً في الخارج، ويضعها هدفاً للتكاليف والأوصاف السالبة والإيجابية. وقد قدم مثالاً فقهياً لهذه الماهية المقيدة؛ قال: «ومنها ماهية تشترط فيها الوحدة من غير تعرض لتجريد أو لخلط، وهذا الأخير هو الذي يجري في استعمال الفقهاء، إذ هو الذي يقع عليه الطلب ويصح وجوده في الخارج، وامتثال الأمر به إذ لا يمكن التعبد إلا به»[16].

(15) التنبيهات، ص 56.

(16) التنبيهات، ص 69.